دراسة التحقيق

أولاً : المؤلف ورحلة حياته

العالم الموسوعة :

يقف العلماء والباحثون أمام هذا العالم الموسوعى وقد تملكتهم الدهشة وسيطر عليهم الإعجاب ..

فعبد الرحمن بن أبى بكر الشهير بجلال الدين السيوطى رجل كثير التصانيف .. متنوع الموضوعات ؛ كاد أن يؤلف فى كل علم كتاباً .. وأن يخرج فى كل فن تصنيفاً .. فقد كتب فى التفسير .. وجمع من الحديث .. ودون التواريخ .. وصنف فى اللغة والنحو والصرف والمعانى .. وألف فى العقائد والأصول .. ثم شرح الأمهات والبطون .. وأدلى بدلوه فى الأدب فنظم ديواناً وأنشأ مقامات .. وهو مامات حتى ورثنا من بعده مما خطت يمينه مكتبة حافلة أوعت حصيلة المنقول السلفى واختزنت خلاصة الفكر الإسلامى ..

مولده ونشأته ووفاته :

جاء السيوطى إلى الدنيا عام ثمانمائة وتسعة وأربعين للهجرة بعيد المغرب من ليلة الأحد فى مستهل رجب .. وكان مسقط رأسه ببلدة أسيوط مسكن أجداده ومأوى أسلافه ..

وتوفى رضى الله عنه فى سحر ليلة الجمعة تاسع عشر جمادى الأولى سنة إحدى عشرة تسعمائة .

حياته العلمية :

يحدثنا السيوطى عن شغفه بالعلم وولعه بالبحث والاطلاع فيقول فى رسالته التى سماها بـ « تعريف الفئة بأجوبة الأسئلة المائة » فيقول :

« وبعد فإنى رجل حبب إلىَّ العلم والنظر فيه .. دقيقه وجليله .. والغوص على دقائقه .. والتطلع إلى إدراك حقائقه .. والفحص عن أصوله .. وجبلت على ذلك .. فليس فى منبت شعرة إلا وهى ممحونة بذلك » . وقد أتاح المناخ الثقافى الذى عاش فيه أن يتتلمذ على أساتذة كبار جلهم كان رأساً فى علمه وقمة فى فنه . وقد أوتى همة عظيمة وجلداً ومثابرة على العلم والتحصيل حتى كان يحرر فى اليوم الواحد الكراريس ذوات العدد مع قيامه بالتدريس والإملاء ..

يحكى لنا تلميذه الداوودى بعض ما رآه منه فى ذلك فيقول : « عاينت الشيخ وقد كتب فى يوم واحد ثلاثة كراريس تأليفاً وتحريراً .. وكان مع ذلك يملى الحديث .. ويجيب عن المتعارض منه بأجوبة حسنة » .

ولقد أهله ذلك أن يكون طالباً محصلاً .. فعالماً نحريراً .. ثم مؤلفاً موسوعياً ليس له نظير فى التأليف كثرة وتنوعاً .

شيوخه :

تتلمذ السيوطى على طائفة من أعلام عصره ومشايخ عهده حيث كان فيهم مفسرون كباراً ومحدثون حفاظ ، وفقهاء فحول ، وعلماء عربية حذاق منهم محى الدين الكافيجى ، وشمس الدين المرزبانى وتقى الدين الشبلى الحنفى وشيخ الإسلام شرف الدين المناوى .. ولم يزل السيوطى البار يذكر مشايخه بالتعظيم والتوقير ، ويثنى عليهم الخير كله .. بل بلغ تقديره لهم أن ألف فيهم معجمه الكبير (حاطب ليل وجارف سيل) حيث دون أخبارهم ، ونوه بمؤلفاتهم وذكر ما تفردوا فيه من العلوم .

ومع هذا فقد أخذ السيوطى العلم من الكتب أكثر مما أخذه عن الأشياخ .. واستقى من الدفاتر فوق ما سمعه من أفواه الرجال .

تلاميذه :

وقد أدى تبحره فى العلم ، ورغبته فى نشره وإذاعته ، وحرصه على إفادته مع ورعه وبصيرته فى الدين إلى التفاف كثير من التلامذة والمريدين حوله ليأخذوا من هديه ويقتبسوا من علومه .. ومن هؤلاء تلميذه ومريده الشيخ محمد بن على الداوودى المالكى ناسخ كتبه ومترجم حياته .. والشيخ زين الدين الشماع الفقيه محدث حلب .. ومنهم محمد بن إياس مؤلف التاريخ المسمى « بدائع الزهور فى وقائع الدهور » ..

وبالرغم من أن السيوطى خرج من تحت يديه تلاميذ كثير فيهم محدثون وفقهاء وعلماء عربية إلا أن جلال السيوطى علَم بالتأليف أكثر

مما خرج التلاميذ بالاقراء والتدريس .

السيوطى وعصره :

عاش السيوطى فى مصر فى عصر دولة المماليك الجراكسة وقد عاصر السيوطى منهم ثلاثة عشر سلطاناً حيث كانت مصر تعيش فترة من الرخاء والسعة مما هيأ ظروفاً طيبة ومناخاً مناسباً للثقافة حيث كثرت المدارس فى عصر المماليك يبنيها الأمراء والتجار وحتى النساء.. وقد كان احتكار المماليك للسياسة سبباً فى جعل العلماء يتفرغون للعلم بحيث نبغ منهم عدد كبير فكان السيوطى واحداً منهم .. وقد ازدهر فى ذلك الوقت علم التاريخ ..

ثانياً : الكتـاب

*** مضمون الكتاب :**

قد جاء هذا الكتاب إجابة عن سؤال . وجه إلى الإمام السيوطى ، ورتب الإجابة على :

(١) مقدمة ..

(٢) ومقصد ..

(٣) وخاتمة ..

والكتاب متعة وأى متعة !! ، وهو دليل على أن السيوطى جدير بالكتابة فى كل مسألة حتى أنه ليجعل من الإجابة عنها « مُصَنَّفا » .. ولقد أثبت أنه قادر على ذلك من فضل الله !!

فهاهوذا يعرفنا فى **المقدمة** بالحمام ، والفرق بينه وبين اليمام .

ثم يحدثنا عن طباعه فى سِفَادِه ، وبيضه فى رقة وعذوبة ، تستهويان القارىء وتجذبانه حيث **يطير** الحمام ، وحيث **يحط** وعندما ينتقل إلى **المقصد** ، فانه يتناول بالتعليق والتخريج ما جاء من الأحاديث فى اتخاذه ، وحسبك من السيوطى حملُه لواء الحديث :

إذا قالتْ حذامِ فصدِّقوها
فإن القـولَ ما قالـــت حَذَامِ

ولا يفوته أن يحدثنا عن بيان حكم حبسه فى الأقفاص ، واللعب به بالتطيير والمسابقة . ولا ينهى مقصده حتى يحدثنا عن حمامة الغار ، ومعانى تسبيح بعض الطيور .

ولا يكاد يصل إلى الخاتمة حتى يصحبنا فى رحلة مع الأدباء والشعراء ، وما قالوه فى وصف الحمام .

لقد جمع السيوطى فأحسن الجمع .. واختار فأجاد الاختيار !!

وأثبت للجميع أنه يستطيع أن يكتب فى كل مسألة « مُصَنَّفاً » !!

تُرى هل كنا نظفر بمثل هذه الدارسة الجادة لو لم يقصد السيوطى لها ؟

الحق أن معايشة السيوطى متعة وبخاصة إذا كانت عن « الحمام » !!

وإذا كان الإنسان لا يحيا بالخبز وحده ، فإن علينا أن نلون غذاء العقل والروح فيما نقدمُهُ للناس .

ومن هنا كان اختيارى لكتاب « طوق الحمامة » حين عثرت عليه **بدار الكتب المصرية** [تحت رقم ٩٦ طبيعيات تيمور . ميكروفيلم رقم ٤٢٠٩٣] .

ولقد راعيت كثيراً من الجوانب النفسية للقارىء بهذا الاختيار فهل ترانى وفقت ؟

أرجو الله التوفيق فيما قصدت ،

أما كتاب :

« طوق الحمامة »

فقد جاء فى سلسلة الفهارس ـ مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر ـ مكتبة الجلال السيوطى ، فى السجل الذى يجمع ويصف مؤلفاته ما يأتى تحت (رقم ٤٤٨) :

« نسبه إليه **حاجى خليفة** فى كشفه » .

« **والعظم** فى عقوده » .

« والبغدادى فى هدية العارفين » .

« أوله : الحمد لله مجير الحمام فى البيت الحرام » .

« يوجد مخطوطاً بالاسكوربال ضمن مجموع » .

منهج التحقيق

لقد اعتمدنا على المخطوط المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ٩٦ طبيعيات تيمور « ميكورفيلْم » بزقم ٤٢٠٩٣ .

وهو يقع فى سبع وأربعين صفحة لم تسلم من التصحيف والتحريف كما تبين لى عند الرجوع إلى النصوص المنقولة فى مصادرها نثرية كانت أم شعرية .